كَلِمَةٌ فِي الدِّفَاعِ عَنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كتبها: رَائِدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْمَهْدَاوِيُّ الشُّوَيْكِيُّ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد؛

فإن الإيمان برِسل الله وأنبيائه جميعاً، وتوقيرهم، ومحبتهم، والدفاع عنهم، ركن من أركان الإسلام، وواجب من واجباته العظام؛ مصداق قوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة(285): " آمَنَ الرَّسولُ بما أُنزِلَ إليهِ منْ ربِّهِ والمُؤمِنونَ كُلٌّ آمنَ بِاللهِ وملائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بينَ أَحَدٍ منْ رُسُلِهِ وقالوا سَمِعْنَا وأَطَعْنا غُفْرَانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ "؛ ذلك وأن دين الرسل والأنبياء جميعاً هو: التوحيد الخالص، وهو إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة، وهذا مقرَّرٌ في كثير من آيات الكتاب العزيز، قال ـ تعالى ـ في سورة الشورى(13): " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدينِ ما وَصَّى به نُوحاً وَالذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِه إبراهيمَ وَموسى وَعيسى أَنْ أَقيموا الدينَ ولا تتفرَّقوا فيهِ كَبُرَ على المُشْرِكينَ مَا تَدْعوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ". وقال ـ تعالى ـ في سورة البقرة(133): " أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ "؛ ولذلك كان الاعتداء على نبيٍّ اعتداء على كل الأنبياء، والاستهزاء بأحدهم استهزاء بهم جميعاً.

ورسل الله وأنبياؤه خير البشر، وصفوة الخلق؛ لأنهم يبلغون الناس الوحي من الله، ويصلحون الانحراف في حياة البشرية، في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، ولذا كان الاستهزاء بهم، أو السخرية منهم، أو انتقاصهم، جريمة لا يجوز السكوت عليها.

وقد تكفل الله بنصر رسله على من عاداهم فقال ـ تعالى ـ في سورة غافر(51): " إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالذينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ".

ومن نعمة الله على هذه الأمة، بل على البشرية جمعاء، أن أرسل محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين يدي الساعة إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وأنقذ به من الشقاوة، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين.

وأوجب الله على جميع الثقلين: الإنس والجن، اتباعه وطاعته والإيمان به، قال ـ تعالى ـ في سورة الأعراف(158): " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعَاً الذي لَهُ مُلْكُ السماوات وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الذي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ". وآتاه الله من الحجج الباهرة، والآيات المعجزة مالا يدع مجالاً لمكابر أن ينكر نبوته أو يجحدها، وعلى رأس ذلك القرآن العظيم، الذي تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، قال ـ تعالى ـ في سورة الإسراء(88): " قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٍ ظَهِيرَاً ".

وبعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ رحمة للعالمين، فمن قبل هذه الرحمة، وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها، وجحدها، خسر في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ في سورة الأنبياء(107): " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ". وأخرج الدارمي (15)، والبيهقي في"الشعب"(1446)، والحاكم(1/35) وصححه، ووافقه الذهبي، وهو في "الصحيحة" للإمام الألباني(490)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " يا أيها الناس، إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ ". وأخرج مسلم في "صحيحه"(2599)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل يا رسول الله، أُدعُ على المشركين، قال:" إني لم أُبعث لعَّاناً، وإنما بُعثت رحمةً". وأخرج مسلم أيضاً(1475)، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال لها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "إن الله أرسلني مبلِّغاً، ولم يرسلني متَعَنِّتَاً ".

وقد رفع الله ذكر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعل مكانته عالية، وذكره باقياً، كما في سورة الشرح (4) "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ"، ونعته الله بأحسن النعوت، ووصفه بأجمل الصفات، كما في سورة الأحزاب(45، 46): " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدَاً وَمُبَشِّرَاً وَنَذِيرَاً وَدَاعِيَاً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَاً مُنِيرَاً".

ومع ذلك كله، لا يزال الحاقدون على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودينه ورسالته، ينفثون سمومهم، ويظهرون عداوتهم، ويرفضون هذه الرحمة المهداة للبشرية، وآخر ذلك تطاولهم على

الرسول الكريم، سيد ولد آدم ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستهزاؤهم به، بصورة تقشعرُّ منها أبدان الموحدين، والعجب أن يصدر ذلك من بلاد تدعي العدالة!! واحترام الأديان!! وحرية التدين!! " قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ"، آل عمران(118)، وهذا الصنيع الآثم ـ ولا شك ـ يؤجج الفتن، ويزرع الكراهية، وينمي الأحقاد، ويذكي العداوة بين الشعوب، وواجب على عقلاء تلك البلدان، أن يأخذوا على أيدي أولئك السفهاء الحاقدين قبل فوات الأوان.

إن إيذاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إيذاءٌ لله، وإيذاءٌ للمؤمنين أيضاً؛ لأن من الواجبات المحتمات في الدين محبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكثر من النفس والأهل والولد، ففي صحيح البخاري(15)، ومسلم(44)، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده، وولده، والناس أجمعين ".

وقد توعد الله من يؤذي رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله ـ تعالى ـ في سورة الأحزاب(57): " إِنَّ الذينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَه لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِينَاً "، وتكفل عز وجل بالدفاع عن رسوله وصفيِّه وخليله، فقال ـ تعالى ـ في سورة الحجر(95): " إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ "، وقال ـ تعالى في سورة الكوثر(3) " إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ "، وقال ـ تعالى ـ في سورة المائدة(67): " وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ". فأين الذين استهزؤوا بنبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟؟ وأين الذين ناصبوه العداء في غابر الأزمان ؟؟ أين أبو لهب، وأبو جهل، وأمية بن خلف، وكسرى، وفارس، وقيصر، والروم ؟؟ لقد محقهم الله، وأهانهم، وطواهم النسيان، ولفهم البِلَى، وكبكبوا في مزبلة التاريخ إلى الأبد، وأما نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكره باقٍ، وأتباعه المستمسكين بهديه في ازدياد، ولله الحمد.

إن محبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقتضي من المسلم تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وتجريد المتابعة له ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يعبد الله إلا بما شرع، وفق ما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقتضي ـ كذلك ـ نصرته، والدفاع عنه، وتوقيره،

حياً وميتاً، قال ـ تعالى ـ في سورة الفتح(9): " لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلَا ".

غير أنه لا يجوز لمسلمٍ الغلوُّ في الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدعوى محبته، فإن هذا الغلوَّ الذي وقعت به فرق!! من المسلمين مما لا يرضاه الله ورسوله؛ لأنه محض إحداث وابتداع في الدين، فإطراؤه والمبالغة في مدحه ووصفه غلوٌّ منهيٌّ عنه، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما في صحيح البخاري(3445): " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا عبد الله ورسوله ".

والحلف به غلوٌّ فيه، وكذلك شد الرحال إلى قبره غلوٌّ فيه، ودعاؤه من دون الله، والتوسل فيه، والاستغاثة به، ودعوى الشفاعة منه وهو ميت، أو الاعتقاد بأن الدنيا خلقت من أجله، أو أن الأشياء خلقت منه، أو ما يقوم به بعض الجهلة والمبتدعة عند حجرته التي دفن فيها من تمسح، وطواف، واستلام، ودعاء، كل ذلك غلوٌّ فيه، وخروج عن العدل والإنصاف في الاعتقاد بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو من الشرك الذي يوبق آخرة صاحبه، ويحبط عمله.

ومن الغلوِّ فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إقامة الاحتفالات البدعية والموالد له، مع ما يرافق ذلك من منكرات، ومحدثات، كالطبول والمعازف ومزامير الشيطان، والذكر الجماعي، والأوراد الشركية، والرقص والضرب بالأرجل والتمايل...، وغير ذلك مما هو مشاهد ومعلوم.وكذلك اعتقاد أنه يخرج من قبره، ويحضر فيما يسميه المخرِّفون(الحضرة)، واعتقاد جواز رؤيته في الحياة الدنيا في اليقظة... وغير ذلك الكثير من المحدثات والمحظورات التي تتناقض مع المحبة الحقيقية للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما يبين أن محبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنةٌ واتِّباع، لا مجرد دعوى وابتداع.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ